

مؤسسات التنشئة الاجتماعية في ظل الاتصال الرقمي (شبكة الانترنت أنموذجا)

د. بومدين مخلوف

جامعة محمد بوضياف المسيلة؛ الجزائر.

البريد الإلكتروني: prof.medien@gmail.com

تاريخ الإرسال: 01 / 11 / 2017؛ تاريخ القبول: 15 / 12 / 2018.

الملخص:

تشكل أنساق التنشئة الاجتماعية بنائياً داخل الحقل المجتمعي الجزائري نموذج إنساني سلوكي وممارسة وأسلوب حياة أخلاقي، وهي بذلك رصيد وشرف اجتماعي يرتبط محورياً بالعقيدة الدينية الإسلامية كمعيار ومصدر مركزي في بنية العلاقات وتأسيس المجتمعات، وضمن هذا التصور الاستشراقي توجد هناك مؤسسات كأنساق فاعلة وذات أهمية في عملية التنشئة وتفاعل العمليات الاجتماعية، بإمكانها تفعيل وهندسة وتكوين مجتمع المستقبل الذي يعتبر محل اهتمام بقابليته واستعداداته الاجتماعية ذات الأبعاد القيمية، فالفرد يتمكن من استيعاب مختلف القيم والمعايير والأدوار وأنماط التفكير خلال فترة نموه عن طريق تفاعله الواسع مع محيطه السوسيوثقافي، وكذا علاقاته الاجتماعية مع الآخرين التي يمارسها داخل نسقه المجتمعي، وبالتالي فلمؤسسات التنشئة الاجتماعية مكانة متميزة. تساهم بشكل فعال في تفعيل البنية القيمية.

الكلمات المفتاحية: شبكة الإنترنت؛ تكنولوجيات الإعلام والاتصال الحديثة؛

القيم؛ مؤسسات التنشئة الاجتماعية؛ المجتمع الجزائري؛

مقدمة:

تشكل أنساق التنشئة الاجتماعية بنائياً داخل الحقل المجتمعي الجزائري نموذج إنساني سلوكي وممارسة وأسلوب حياة أخلاقي، وهي بذلك رصيد وشرف اجتماعي يرتبط محورياً بالعقيدة الدينية الإسلامية كمعيار ومصدر مركزي في بنية العلاقات وتأسيس المجتمعات، وضمن هذا التصور الاستشرافي توجد هناك مؤسسات كأنساق فاعلة وذات أهمية في عملية التنشئة وتفاعل العمليات الاجتماعية، بإمكانها تفعيل وهندسة وتكوين مجتمع المستقبل الذي يعتبر محل اهتمام بقابليته واستعداداته الاجتماعية ذات الأبعاد القيمية، فالفرد يتمكن من استيعاب مختلف القيم والمعايير والأدوار وأنماط التفكير خلال فترة نموه عن طريق تفاعله الواسع مع محيطه السوسيوثقافي، وكذا علاقاته الاجتماعية مع الآخرين التي يمارسها داخل نسقه المجتمعي، وبالتالي فلمؤسسات التنشئة الاجتماعية مكانة متميزة. تساهم بشكل فعال في تفعيل البنية القيمية.

ومقابل هذا الطرح فقد توجد مؤسسات مستحدثة ذات علامات بارزة في عملية التنشئة، وبمضامين ومحتويات قد تتعارض مع قيم ومعايير المجتمع الجزائري، والتي قد تساهم وبشكل مكثف وقوي في عملية البناء القيمي، وخاصة منها الإعلامية الاتصالية ذات التكنولوجيات ضمن الفضاء الإعلامي الشبكي وعلى خطوط الاتصال المتنوعة، ورغم اختلافها حسب محور الزمان من حيث التطور ومحور المكان من حيث التوفر، ورغم أهميتها وتعقدها فهي فضاء مكثف وقوي من التفاعلات المتبادلة، فقد تخلق سيطرة وهيمنة طرف على طرف آخر وقد تحطم الذات الاجتماعية وتزيد من الضغط والتوتر والصراع الثقافي، وقد تعمل في أغلب المواضع على تهميش واختراق منظومة القيم ضمن الحقل المجتمعي المعاصر.

وضمن هذه المقاربة وبالرغم من التقدم الملحوظ الذي شهده المجتمع الجزائري في مختلف الميادين والمجالات الاقتصادية والثقافية والفكرية، فإن ما يمكن ملاحظته أن الحقل الاجتماعي المعاصر تميز بالتسارع والتفاعل والتغير، وهذا قد يعود إلى خصوصيات بنيته أو طبيعة المتغيرات المستحدثة خاصة منها

الإعلامية الاتصالية وما قد تفرضه من حتميات تتخطى سلطة مؤسسات التنشئة، وقد تشكل تكنولوجيات الإعلام والاتصال الجديدة علامة بارزة ضمن المتغيرات ومحور مركزي في عمليات التغير، كما قد تمثل إشكالا إبستمولوجيا مستحدثا قائما من حيث كثافة وقوة وتعقد نسقها، ومن حيث احتلالها واختراقها في بعض المواضيع لأغلب مجالات الحياة داخل المجتمع وغموض علاقات الاستخدام لدى بعض الفئات، وكذلك من خلال دورها المحوري في إعادة تشكيل بنية المنظومة القيمية، وقد تعد من بين التحديات التي يواجهها المجتمع الجزائري، والتي قد تستعدي تفاعل العديد من المختصين الاجتماعيين للبحث والتشخيص ضمن الدور الفعلي الذي تلعبه ضمن النسق القيمي، وذلك بهدف تحليل العلاقة وفهم أهم الأسباب والآثار ضمن محور البنية القيمية المجتمعية.

وضمن هذه القراءة وفي ظل اتساع الفضاء الإعلامي الاتصالي يتحدد إشكال إبستمولوجي بارز في بنية العلاقة والاستخدامات الاجتماعية المعقدة ضمن حقل السوسيولوجيا القيمية التي تهدف أساسا إلى بناء وهندسة مجتمع المستقبل وفق آليات واستراتيجيات استشرافية، ويتحدد ارتكاز البحث بالتنشئة الاجتماعية المبنية على أساس المعايير السياقية الخاصة؟ وواقعها في ظل عمليات الاتصال المستحدثة؟

المقاربة البحثية:

التعمق النظري والمعالجة المنهجية لمفهوم التنشئة الاجتماعية والاتصال المستحدث، تتطلب تحليل وتأسيس علامات استدلالية وأسس تعامل قيمية مع مثل هذا النوع المستحدث من المفاهيم، خاصة وباعتبار تكنولوجيات الاتصال المستحدثة إعلام قائم على شبكة الإنترنت الذي أصبح من الممارسات المفضلة، وما تحمله من تداخل وغموض علاقات الاستخدام قد يطرح مشكلات ذات أبعاد قيمية، قد يتأثر بها النمط المجتمعي المعاصر ويتفاعل معها بشكل سريع وقوي، وهذا قد يؤدي إلى تفكيك وتحطيم العلامات الاستدلالية القيمية للسياق المجتمعي خاصة وأن شبكة الإنترنت اليوم تشكل علامة ارتكازية مركزية لدى أغلب الأفراد، ومن خلال المتابعة المتتالية لأهم موجاتها المتعددة وتعمقها داخل النسق

المجتمعي المعاصر، قد تحمل نقاط استدلالية محورية بارزة وقوية في إعادة تشكيل بنية المنظومة القيمية للمجتمع الجزائري، مما قد يبرز هذا التصور إشكالية ارتكازية. قد تتمثل في اختراق وتعطيل مستوى الوعي لدى العديد من مؤسسات التنشئة.

وضمن هذا المحور فمجال التمعن وبدقة قد يلاحظ أن خدمة الإنترنت أبرز ما توصلت إليه تكنولوجيا الإعلام والاتصال، ومن حيث الاستخدام قد يلاحظ اتجاه يتمثل في علاقات القوة المبنية على ميزات التكنولوجيا، واتجاه آخر يتحدد في وجود فئات ضمن التسلسل الهرمي أكثر تعرضا من غيرها لما تحمله من هشاشة اجتماعية، وضمن قراءة هذه العلاقة فقد تعتبر ظاهرة نسقية بإمكانها أن تخترق البنية المجتمعية والثقافية وتفكك العلاقات الاجتماعية ومختلف بناءات المنظومة القيمية.

وضمن هذا السياق فالبحث في ظاهرة العلاقة بين التنشئة الاجتماعية والاتصال المستحدث، قد يتطلب البحث في العلاقات والضوابط والحدود الاجتماعية والعلاقة بالآخر كبنية قيمية، والتفكير والتأمل بشكل معمق لمحتوى الرصد المعلوماتي والزخم الثقافي، وحتمية التسييق المفاهيمي والتأسيس المنهجي، وهذا بهدف فهم هذا التداخل وتفسير الدور الفعلي الذي تلعبه في بنية النسق القيمي، وهذا كتساؤل محوري حول إشكالية العلاقة بين متغير المنظومة القيمية ومتغير تكنولوجيا الإعلام والاتصال.

الحتمية القيمية للبحث:

الملاحظ أن البروز المكثف لتكنولوجيا الإعلام والاتصال والاستخدام المعقد أصبح حقيقة وظاهرة سوسيولوجية لا بد من تكثيف الجهودات وتفعيل مختلف المرتكزات والمقاربات العلمية لتحليل هذا التشابك وإنتاج التمثلات والتصورات التي تقوم بصياغة وامتلاك آليات تمكينها الفعلي إلى مستوى التنفيذ وممارستها، وإعادة توزيع الأدوار والوظائف داخل الأسرة الجزائرية، وبالتالي تنمية الأدوار والوظائف وتوزيعها لتشكيل محور أساسي ورأس مال اجتماعي لمؤسسات

التنشئة، وذلك من خلال مهمة ترسيخ وتفعيل القيم الأخلاقية والمبادئ والمهارات القيمة.

وعليه فحتمية دراسة موضوع التنشئة الاجتماعية في ظل الاتصال المستحدث كقيمة، تتحدد بسبب إقبال وتزايد (*prolifération*) مختلف الشرائح الاجتماعية على استخدام التكنولوجيات الاتصالية الحديثة، وبالأخص شبكة الإنترنت، مما يتطلب ضرورة الفهم والإقتراب من تأثيرات هذه الوسائط الاتصالية المستحدثة على البناء الثقافي والمجتمعي، كذا ندرة الدراسات النظرية والميدانية التي تقارب مسألة تأثير الاتصال المستحدث على النسق القيمي، حيث أن التأثير القيمي للاتصال المستحدث يمثل مبحثاً هامشياً في الحقل السوسيولوجي، رغم أنها أحد المداخل الرئيسية التي ينبغي التفكير من خلالها في التحولات التي تحدثها الإنترنت على الثقافة والمجتمع، والإسهام في تجديد الجهاز المفاهيمي والمعرفي والمنهجي الذي وظفه الباحثون السوسيولوجيون لدراسة الظواهر الإعلامية والاتصالية الجديدة، والانشغال الشخصي بالمبحث المعرفي في موضوع القيمة والمنظومة القيمية في ظل تكنولوجيات الإعلام والاتصال الحديثة.

الحقل المفاهيمي للبحث:

التنشئة الاجتماعية: (*socialisation*)

تعتبر التنشئة الاجتماعية من وجهة نظر سوسيولوجية ضمن السياق الاجتماعي الكلي "نسق تطوري وتراكمي للقواعد والقيم، يتمكن من خلاله الطفل استيعاب مختلف السلوكيات والمعايير وأنماط التفكير الخاصة بمحيطه السوسيوثقافي (*Socio-culturelle*) الذي ينتمي إليه"، (C. Dubar. 1996, p.132). وتأخذ الأسرة كمؤسسة اجتماعية (*institution sociale*) وكنسق بنيوي مركزية تأسيس الاتصال والتفاعل وتأسيس المبادئ والمهارات بمستوى قيمي، باعتبارها مؤسسة متعددة الوظائف ورأس المال الثقافي (*capital culturel*)، (Pierre Bourdieu, 1980, p.88) وبهذا المدلول فالتنشئة مهمة أسرية أساسها المحوري تنمية الأدوار الاجتماعية (*Les rôles sociaux*).

وعليه ومن منظور قيمي فحتمية أسلوب (*méthode*) التنشئة الاجتماعية على مستوى الأسرة كمؤسسة تربوية، يؤسس الرأس المال الاجتماعي (*le Capital social*) الأخلاقي ويساهم في غرس الثقافة والارتقاء بها إلى مستوى القيمة، ويشكل التفاعل (*interaction*) والتواصل والاندماج وفق المعايير (*les normes*) المجتمعية القيميّة، فالطفل يكتسب قيمه التربوية بشكل رئيسي تأصيلي من قبل أفراد الحقل الأسري، ومن منظور سوسيونفسي فإن نظرية أريكسون (*Erikson*) لمراحل النمو النفسي والاجتماعي تؤكد على العلاقة الوثيقة بين الفرد وأسرته، فالأسرة قيمياً تقوم بتربية أبنائها على المبادئ والمثل العليا والالتزام، وتأصيلها على مستوى الأنساق التي سوف ينتمون إليها، "وتعتبر عملية التنشئة الاجتماعية عامل ضبط اجتماعي في تكوين الأفكار والقيم، وفق معايير المجتمع"، (نبيل، م. ت، دت، ج:1، ص:311) والتي تتشكل كارتكاز استدلالى وتتأسس محوريا كقيمة مركزية للبناء المجتمعي (*construction sociale*) ضمن حقل انسجام وتناسق وتفاعل العلاقات الاجتماعية للاتصال، باعتبارها "شبكة ونسيج للنظم الاجتماعية التي تتبع من مجموع القيم الاجتماعية والثقافية والحضارية والدينية" (محمد عبد الرحمن، ش. 1976، ص:11).

النسق الأسري:

يشكل نسق الأسرة مركزية الوعي الاجتماعي (*conscience sociale*) والحضاري، فهو الذي ينقل التراث بين الأجيال وهو مصدر العادات والتقاليد، والعرف وقواعد السلوك والآداب العامة، وهو دعامة الدين والوصية على طقوسه، ويرجع إليه الفضل في القيام بأهم وظيفة اجتماعية وهي عملية التنشئة الاجتماعية (*socialisation*). (عبد القادر، ق. دت. ص:63).

ومن وجهة نظر سوسيولوجية فالتنشئة الاجتماعية ضمن السياق الاجتماعي الكلي تعتبر "نسق تطوري وتراكمي للقواعد وللقيم، يتمكن من خلاله الطفل استيعاب مختلف السلوكات والمعايير وأنماط التفكير الخاصة بمحيطه السوسيوثقافي (*Socio-culturelle*) الذي ينتمي إليه"، (C. Dubar. 1996, p.132.) وتأخذ الأسرة كنسق بنيوي

مركزية تأسيس وتأسيس المبادئ والمهارات، باعتبارها رأس المال الثقافي (capital culturel) (Pierre Bourdieu, 1980, p.88)، وبهذا المدلول فالتنشئة مهمة أسرية أساسها المحوري تنمية الأدوار الاجتماعية (Les rôles sociaux).

شبكة الإنترنت: (Internet)

مُشتقة من شبكة المعلومات الدولية اختصاراً للاسم الإنجليزي (Work International Net) ويُطلق عليها عدة تسميات منها الشبكة (The Net) أو الشبكة العالمية Net World أو شبكة العنكبوت (The Web) أو الطريق الإلكتروني السريع للمعلومات (Electronic Super High Way) (عبد المالك، ر. د. 2003، ص: 33).

ويُعرفها محسن أحمد الخضيرى بأنها: شبكة تحتوي على مجموعات مختلفة من شبكات الكومبيوتر ذات القدرات الفائقة على نقل المعلومات، حفظها وتحديثها، وهي مُنتشرة على جميع المناطق في العالم وتُتيح كافة أنواع المعارف الإنسانية، وتُمارس دورها الرئيسي في توحيد العالم وفي زيادة ترابطه واتصاله، فهي تُطور الطرق والوسائل التي يتواصل بها الناس، (محمد حسن، خ. 2001، ص: 11) كما يُعرفها محمد عبد الحميد بأنها: شبكة الشبكات، حيث يرتبط بها أكثر من خمس وثلاثين ألف شبكة محلية ووطنية وقومية وتخدم أكثر من مائة مليون مستخدم (محمد، عبد الحميد. 2000، ص: 11).

كما يُعرفها أرنود ديفور (Arnaud Defour) بأنها: ظاهرة تعدت العبارات في وصفها وشبكة الشبكات، بيئت العنكبوت العالمية، والسيبرسبايس (Cyber Spayce) (محمد، ل. 2007، ص: 37)، ويُعرفها عالم الاجتماع الأمريكي مارشال ماك لوهان بأنها: البُعد الرابع، الشبكة الغامضة، السوق الإلكترونية، السوق الفسيح، القرية الكونية أو الكوكبية (Olivier, A. 1996, p.6)، ويُعرفها أوليفي أندريو (Olivier Andrieu) بأنها: الشبكة الفيدرالية للشبكات تُوصل آلاف مصادر المعلومات لمختلف أرجاء العالم، خدماتها متعددة وإمكاناتها في الاتصال مختلفة (Olivier, A. 1996, p.6).

ويُمكن تعريف الإنترنت بأنها: شبكة عالمية واسعة الانتشار، ترتبط بها العديد من الحواسيب الآلية، تعمل عن طريق وسائل الربط المتنوعة كأسلاك الهاتف والأقمار الصناعية وغيرها، في تطور سريع ومستمر، تُوفّر خدمات كثيرة ومتنوعة في العديد من المجالات الاقتصادية، الصحيّة، الثقافية والترفيهية، الدينية والاجتماعية، قادرة على القيام بمهامها بسرعة عالية وجودة فائقة، تساعد في إجراء الاتصالات بين أفراد المجتمعات، تسمح للمشاركين فيها بالتنقل والاستخدام بصورة حُرّة للمواقع المسموح بها، يستخدمها أفراد المجتمع ولها أبعاد وآثار عديدة ومتنوعة.

المتنوع وبدقة مكانة شبكة الإنترنت كخدمة بارزة مجال حقل تكنولوجيا الإعلام والاتصال قد يلاحظ اختراق المجال المكاني والفضاء الزمني وسيادة العديد من المواقع خاصة منها الاتصالية، وذلك بصفة دالة من خلال انتشارها وبشكل واسع وقوي لدى مستخدميها، فمن سمات مواقعها من حيث التصميم والهندسة والإبداع إمكانية خلق ميزة تنافسية وتحقيق حاجات المستخدمين المتنوعة، وتفعيل مفاهيم مستحدثة كالاغتراب والتفكك والتمرد والفردية على مستوى العلاقات والضوابط القيمة.

خدمة "الإنترنت" للاتصال المستحدث: (Nouvelle Communication)

في ظل هذا الرصد الذي عرفه عالم تكنولوجيا الإعلام والاتصال وخاصة في مجال مواقع الإنترنت (Sites Internet)، من خلال التعدد والتنوع والتطور، وباعتبار الموقع (Site Web): "مجال يتم تخصيصه على شبكة الإنترنت يحتوي على تنوع وتدفق قوي للمعلومات، يقدم خدمات عديدة تفاعلية للمستخدم، ونسق خاص أو نظام معين ترتب فيه المعلومات بشكل منسق ومتعدد الأهداف"، (ربحي مصطفى، ع. 2003، ص: 127) قد يعتبر من وجهة نظر سوسيولوجية نسق بنيوي من حيث التصميم والهندسة، وشبكة اتصالية علائقية معقدة تشكل نسق اتصالي تكاملي جديد.

والمتنوع بشكل أدق ضمن حقل الشبكة الإعلامية العالمية "الإنترنت" اليوم قد يلاحظ أن فضاء الاتصال المعاصر (Télécommunication) من حيث

التصميم والهندسة يحتل مكانة ومركزية، كما قد يعتبر نموذج مرجعي للسوسيولوجيا بهدف تحليل عملية التفاعل الاجتماعي، وهو بحكم بنية التحديث التكنولوجي قد يشكل ممارسات سوسيوقراطية قد تؤثر على النسيج العلائقي للنسق الاجتماعي، خاصة وإذا كانت مصحوبة بموجة مفاهيم مستحدثة قد تتمثل وعلى نطاق واسع في التناقض للتصورات والصراع وزيادة الضغط والتوتر، وهيمنة وسيطرة الطرف الآخر وتحطيم الذات وتعميق الفراغ الاجتماعي.

إن غموض وتداخل وتعقد عمليات استخدام مواقع شبكات الاتصال قد تعتبر تمثل جديد للدينامية المجتمعية، والذي قد يتطلب رؤية حتمية (*Conception Déterministe*) قيمة لأنساق التنشئة الارتكازية ذات العلامات الاستدلالية القيمة، بهدف تشكيل الرأس المال الاجتماعي (*Capital Social*)، وتوظيف الوسائط الاتصالية الجديدة ضمن الحقل الاجتماعي بمدلول ثقافي يرتقي إلى مستوى القيمة.

وضمن هذا السياق وكروية معمقة قد يلاحظ أن الاستخدامات الأكثر تواترا لتكنولوجيات الاتصال الحديثة خاصة منها "خدمة الإنترنت"، ذات طبيعة اجتماعية تثقيفية تعليمية، وباعتبار أغلب المضامين والمحتويات عبر هذه الوسائط تفتقر لنقاط ارتكاز قيمة، وتبين بصفة دالة تداخل السياقات الجغرافية والثقافية والتاريخية والتي تمثل ثقافة الآخر، قد يطرح انحطاط جمالي ومفارق سلوكية تخترق العلامات الاستدلالية القيمة، ومشكلات أخلاقية وتموجات خطيرة على بنية المجتمع وبروز أشكال جديدة من الاجتماعية.

بنية مجتمع شبكة "الإنترنت": (*Structure de la Société en Réseau*)

الحضور المكثف والقوي للاتصال المعاصر (*Télécommunication*) ضمن نسق تكنولوجيا شبكة الإنترنت، وباعتبار بنية الاتصالات (*Structure de Communication*)، فضاء إلكتروني معلوماتي يرتبط بالفرد كمحور أساسي، قد يشير إلى أبعاد ودلالات وأدوار (*Rôles*) وظيفية متنوعة داخل المجال الاجتماعي، وذلك قد يتشكل عن طريق تفاعل واندماج مختلف الأنساق ضمن حقل الشبكة (*Réseau*) باعتبارها "وسيلة تشكل الاتصال بين الأجهزة الآلية،

ويتم من خلالها استخدام الموارد والملحقات المشتركة فيما بينهما وبعضهما البعض"، (أسماء، ح.ج. 2005، ص: 71) أي ذات اتصال مكثف بيني (محمد، م. ح. 2004، ص: 301)، يتحدد فيها وبصفة دالة الاتصال في نقطة التقاطع بين اللغة والتكنولوجيا.

فشبكة الاتصال وحسب هبة محمد خليفة هي: مواقع فعالة جداً في تسهيل الحياة الاجتماعية بين مجموعة من الأصدقاء من الاتصال ببعضهم، حيث تمكنهم من التواصل الصوتي والمرئي (*Communication Audio et Visuelle*) وتبادل الصور وغيرها من الإمكانيات التي توطن العلاقة الاجتماعية بينهم (علي، خ. ش. 2014، ص: 59)، وبهذا المفهوم فشبكة الاتصال محورها المركزي يتمثل في المجتمع الافتراضي، باعتباره تركيبة علائقية اجتماعية إلكترونية (*Electronique*) تتشكل من أفراد وجماعات مستخدمين لمواقع التواصل الاجتماعي كخدمة أساسية من بين خدمات شبكة الإنترنت، والمتمتعين مجال الاستخدام وكمقاربة سوسيولوجية للمجتمع الافتراضي قد يلاحظ ما يلي:

- استخدام مواقع التواصل الاجتماعي ميزة أساسية لهذا المجتمع، خاصة منهم فئة الشباب.
- رغبة شديدة لدى المستخدمين بفتح مواقع التواصل الاجتماعي ورؤية قائمة المتصلين (عمر، ب.ع. 2007، ص: 55).
- التباعد المكاني للمتصلين مؤشر بصفة دالة على اختلاف الجنس واللغة والدين والثقافة.
- انتماء الفرد إلى جماعة افتراضية معينة يعتبر مصدراً آخر للتنشئة، وقد تستطيع هذه الجماعة توجيه وتوعية وغرس قيم دينية وأخلاقية تنمي سلوك الفرد وتوجهه نحو المسؤولية والانتماء والإخلاص.
- قيم المجموعة تلعب دوراً أساسياً في ترسيخ وتأسيس الثقافة، ومستوى الوعي ودرجة التفاعل لدى المستخدمين تتحكم في مدى ثبات واستمرار وارتقاء قيم الثقافة.

النسق القيمي والتنشئة الاجتماعية:

يتشكل النسق القيمي من المعايير والأحكام التي تتكون لدى الفرد ومن خلال تفاعله مع المواقف والخبرات الفردية والاجتماعية بحيث تمكنه من اختيار أهدافه وتوجهاته، وتعمل على توجيه سلوكه وضبطه وتنظيم علاقاته في المجتمع (ماجد، ز. 2006، ص: 33)، وبهذا التشكيل فالمدلول السوسيولوجي للنسق القيمي يأخذ دلالة الارتقاء المعنوي والملموس وفق سياق تصوري مركزي إيجابي، كما أنه. يشكل إثبات وجود الذات الأصلية أخلاقيا، كما يمكن اعتباره إدراك ووعي الفرد لنفسه وللآخر والتحرر والتميز وفق مبدأ العقل والتأمل، وهو بذلك التزام وممارسة واعية للحرية كواجب أخلاقي وجوهري فكري.

ومن وجهة نظر سوسيولوجية فالتنشئة الاجتماعية ضمن السياق الاجتماعي الكلي تعتبر "نسق تطوري وتراكمي للقواعد وللقيم، يتمكن من خلاله الطفل استيعاب مختلف السلوكات والمعايير وأنماط التفكير الخاصة بمحيطه السوسيوثقائي (Socio-culturelle) الذي ينتمي إليه" (C. Dubar. 1996, p.132). ، وتأخذ الأسرة كمؤسسة اجتماعية (institution sociale) وكنسق بنيوي مركزية تأسيس الاتصال والتفاعل وتأسيس المبادئ والمهارات بمستوى قيمي، باعتبارها مؤسسة متعددة الوظائف ورأس المال الثقافي (capital culturel) (Pierre Bourdieu, 1980, p.88)، وبهذا المدلول فالتنشئة مهمة أسرية أساسها المحوري تنمية الأدوار الاجتماعية (Les rôles sociaux).

وعليه ومن منظور قيمي فحتمية أسلوب (méthode) التنشئة الاجتماعية على مستوى الأسرة كمؤسسة تربوية، يؤسس الرأس المال الاجتماعي (Capital social) الأخلاقي ويساهم في غرس الثقافة والارتقاء بها إلى مستوى القيمة، ويشكل التفاعل (interaction) والتواصل والاندماج وفق المعايير (les normes) المجتمعية القيمية، فالطفل يكتسب قيمه التربوية بشكل رئيسي تأصيلي من قبل أفراد الحقل الأسري، ومن منظور سوسيونفسي فإن نظرية أريكسون (Erikson) لمراحل النمو النفسي والاجتماعي تؤكد على العلاقة الوثيقة بين الفرد وأسرته، فالأسرة قيميا تقوم بتربية أبنائها على المبادئ والمثل العليا والالتزام، وتأصيلها على مستوى الأنساق التي سوف ينتمون إليها، "وتعتبر

عملية التنشئة الاجتماعية عامل ضبط اجتماعي في تكوين الأفكار والقيم، وفق معايير المجتمع "نبيل، م. ت، دت، ج: 1، ص: 311)، والتي تتشكل كارتكاز استدلالي وتتأسس محوريا كقيمة مركزية للبناء المجتمعي (*construction sociale*) ضمن حقل انسجام وتناسق وتفاعل العلاقات الاجتماعية للاتصال، باعتبارها "شبكة ونسيج للنظم الاجتماعية التي تتبع من مجموع القيم الاجتماعية والثقافية والحضارية والدينية" (محمد عبد الرحمن، ش. 1976، ص: 11).

المقرب القيمي لخدمة الإنترنت:

المتعمق وبدقة في مكانة شبكة الإنترنت كخدمة بارزة مجال حقل تكنولوجيا الإعلام والاتصال قد يلاحظ اختراق المجال المكاني والفضاء الزمني وسيادة العديد من المواقع خاصة منها الاتصالية، وذلك بصفة دالة من خلال انتشارها وبشكل واسع وقوي لدى مستخدميها، فمن سمات مواقعها من حيث التصميم والهندسة والإبداع إمكانية خلق ميزة تنافسية وتحقيق حاجات المستخدمين المتنوعة، وتفعيل مفاهيم مستحدثة كالاغتراب والتفكك والتمرد والفردية على مستوى العلاقات والضوابط القيمة.

وضمن هذا التصور قد نجد خدمة مواقع التواصل الاجتماعي كبنية إعلامية اتصالية تكاملية تفاعلية يمكنها أن تثبت قوة كبيرة في إعادة بناء السياق المجتمعي، ومنه فتطور تكنولوجيات الاتصال المتعددة الوسائط (*Multimédia*) قد يمثل تحديات مستقبلية ومسايرة تقابلها ضريبة اجتماعية تمس الخصوصيات الثقافية والاجتماعية والسلوكية، الفكرية والأخلاقية.

وفي إطار مقارنة هذا التعقد مجال الاستخدام المكثف وباعتبار الشبكة الإعلامية العالمية "الإنترنت" شبكة عملاقة تمثل الحاضر والمستقبل معا، تنشر العلم والثقافة والمعلومات والأخبار، وتشارك في إعادة تشكيل حياة الإنسان والمجتمع (محمد، م. ج. 2004، ص: 302)، وباعتبارها "أداة أو جهاز أو وسيلة تساعد على إنتاج أو توزيع أو تخزين أو استقبال أو عرض البيانات" أو أنها: "الآلات أو الأجهزة الخاصة أو الوسائل التي تساعد على إنتاج المعلومات وتوزيعها

واسترجاعها وعرضها" (السيد، ب. 2010، ص: 208)، فمن وظائف مواقعها ومن منظور إعلامي اتصالي قيمي:

- الارتقاء بالمضمون إلى مستوى القيمة.
- مراقبة البيئة الاجتماعية وتوفير المعلومات وفق خصوصيات النسق المجتمعي (حسن، ع. م. دت، ص: 71. 72).
- تفعيل عملية التنشئة الاجتماعية مما يخلق الترابط والتماسك بين أفراد المجتمع.
- تفعيل بنية الحقل التعليمي تربويا وأخلاقيا وتوفير فرص تعليمية وأساليب منهجية معرفية بين مختلف المؤسسات التعليمية.
- تأصيل القيم والتقاليد كوظيفة أساسية وضرورية وذلك للحفاظ على التراث الثقافي للمجتمع.
- التأكيد على المعايير الاجتماعية وتنمية الثقافة والارتقاء بها إلى مستوى القيمة.

البنية السوسيولوجية للقيم:

نسق المهتمين والباحثين في مجال السوسيولوجيا هو مركزية تفعيل المنظومة القيمية وفق منهجية علمية عملية، أي من أجل التنظير لمسار تنموي والتناول الاستشرافي في دراسة مجتمع المستقبل بطرح نظرة جديدة وأصيلة ورؤية شاملة تهدف إلى تعقيق مستوى الوعي (*conscience*) والإدراك الاجتماعي.

ومنه النسق السوسيولوجي الماركسي (*Marxists*) يضع القيم ضمن المستويات العليا للمجتمع التي تتضمن كل من الدين والأخلاق وأشكال الوعي المختلفة، وبناء على طبيعة هذه المحددات فإن علماء الاجتماع يتجهون للإشارة بأن القيم هي مستوى أو معيار للانتقاء من بين بدائل أو إمكانات اجتماعية متاحة أمام الشخص الاجتماعي في الموقف الاجتماعي، وعلى هذا الأساس فإن القيم تعتبر حقائق أساسية هامة في البناء الاجتماعي وهي لذلك تعالج من منظور سوسيولوجي على أنها عناصر بنائية، تشتق أساسا من التفاعل الاجتماعي، حيث ينصب

اهتمامهم على بناء النظم ووظيفتها وأنواع السلوك، وعلاقتها بهذه النظم من منظور جماعي (Custave, F. 2000,p.16).

وفي ظل تداخل وتعقد الحاجات والرغبات وتنوع الثقافات وتعدد القيم، وإشكالية استخدام الشبكات المستحدثة الذي يفتقر إلى نقاط ارتكاز علامات استدلالية قيمة، قد يتشكل خلل سلوكي (*comportement*) وأزمة أخلاقية ضمن مسار البيئة المجتمعية، وبالتالي هدف السوسيولوجيا إعادة القراءة استشرافيا وتشكيل وتأسيس عقد اجتماعي ثقافي تربوي أخلاقي، وتكوين علاقات قوية ضمن نسق التفاعل الاجتماعي.

وبهذا الطرح نجد النسق الدوركايمي (*Durkheimians*) يعتبر الهاتف شكلا من أشكال التكنولوجيا التي تعمل على التضامن العضوي (*Organic Solidarity*) بين أفراد المجتمع، ويشكل الاتصال الإذاعي والتلفزيوني قوة كبيرة في إيجاد حالة من التوازن والتضامن بين أفراد المجتمع من خلال ما يحدثه هذا الاتصال بينهم من نظرات وتصورات جمعية مشتركة (*Collective Representations*). (Alexander, J.C. 1988,p.16)

كما نجد أهمية الوسائط الاتصالية ضمن النسق الماركسي تلجأ إليها الطبقات الحاكمة في مجتمع ما من أجل فرض سيطرتها وبسط نفوذها وهيمنتها بصورة دائمة، وضمن النسق الفيبري (*Weberians*) فإن الإذاعة والتلفزيون تعمل على تزويد المجتمع بعناصر الثقافة الرفيعة، وتعتبر الوسائط أداة فاعلة في دعم العقلانية (*Rationalism*) التي هي برأيهم السبب الرئيسي في التغيير الاجتماعي في المجتمعات الرأسمالية الغربية، إذ تعمل هذه الوسائط على تخفيف القيود التي يفرضها الزمان والمكان (Schiler, H. 1996,p.68).

وعليه فالتحليل السوسيولوجي المتعمق وكتصور استشرافي فإن المجال الاجتماعي القيمي هو الحقل التي تتم فيه عملية التفاعل الاجتماعي، وتشكيل العلاقات بين الأفراد وبين البيئة الداخلية والخارجية وتصميم وهندسة ثقافة ترتقي إلى مستوى القيمة، ويتم هذا عن طريق تفعيل المقومات الهيكلية الاقتصادية

منها والاجتماعية والتربوية، وتكامل العناصر المشتركة في القيام بعمليات الوعي الاجتماعي وممارسته من خلال السلوك.

المقاربة الإمبريقية للبحث:

من منطلق الاعتراف بوجود جوانب إيجابية وسلبية لعملية الاستخدام المعقد للشبكة الإعلامية العالمية "الإنترنت"، يمكن أن تتمثل القراءات الاستشرافية في ما يلي:

- الشبكة الإعلامية العالمية "الإنترنت" مادة خام اتصالية تكاملية تفاعلية؛ تتطلب مستوى وعي وإدراك المستخدم، ويتطلب تعليم الأبناء كيفية التعامل معها، وتوعيدهم على تحليل مضمون الرسالة في ضوء المعايير والقيم الاجتماعية.
- إدراك استحالة تجنب تعرض الأبناء لتكنولوجيا الإعلام والاتصال الحديثة المتعددة الوسائط، بصورها المختلفة بصفة مباشرة أو غير مباشرة يتطلب: الاهتمام بتكنولوجيا الإعلام والاتصال الحديثة المتعددة الوسائط من أجل التعليم، والعمل المنهجي في ظل إدراك الاتجاه غير الثابت والمستمر.
- إدراك ميزة خدمة الشبكة الإعلامية العالمية "الإنترنت" التي تتمثل في التشويق، الإثارة، يتطلب مراقبة ردود أفعال الأبناء وتنمية وضبط التفكير النقدي وفق لغة الحوار.
- إدراك أهمية الأخذ بأساليب تربوية متعددة ومتكاملة لمواجهة تأثير التكنولوجيا الحديثة المتعددة الوسائط بصفة سلبية على الأبناء، ومشاركة وسائل الإعلام المحلية لتوجيه الأولاد مع الأسرة في عملية التنشئة الاجتماعية، وأهمية استخدام وسائل متنوعة للتربية الاجتماعية، فالثقافة الإسلامية نماذج وأساليب متنوعة للتربية الاجتماعية يمكن الاسترشاد بها، وعدم التركيز على التوجيهات المباشرة وجعل أساليب التنشئة متكاملة.

- وجود قدر من الاتفاق بين الوالدين في النظرة إلى التكنولوجيا الحديثة المتعددة الوسائط، وفي أساليب التعامل معها يتطلب: استقرار الأسرة بهدف القيام بوظائفها في ظروف إيجابية، والاهتمام بتوفير الدعم العاطفي للأولاد كوظيفة مكملة لمهام التنشئة الاجتماعية، والاهتمام بحاجيات الأبناء النفسية، المعرفية، الجسمية، بصفة رئيسية تساهم في استقرار شخصية الفرد في المجتمع.

- الاعتراف بالفروق الفردية بين الأبناء، وتأثير المرحلة العمرية على طبيعة الاحتياجات، ومحاولة توفير وسائل التعليم والترفيه الملائمة، لإشباع حاجات الأبناء، ومقاومة عرض كل ما يتعارض مع القيم الدينية والاجتماعية والقواعد الأخلاقية الإنسانية سواء في وسائل الإعلام المحلية أو العالمية، والمشاركة الفعالة في مضمون وأساليب الرسائل الإعلامية.

- استغلال وسائل الإعلام والاتصال الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية لمناقشة ما يفتقده الأفراد، يتطلب القراءة السوسولوجية للارتباط الإلكتروني والعزلة الاجتماعية، والاهتمام بالثقافة، الهوية، المعايير، التي تحفظ التوازن والاستقرار، وتحقيق استمرار وتنمية المجتمعات ووقايتها من الانحراف.

- أهمية الشبكة الإعلامية العالمية "الإنترنت" وعدم جهل قيمتها المعلوماتية والاتصالية والخدماتية، والاعتراف بوجود جوانب سلبية وخطيرة تعود على مستخدميها، ومنه تقترح التعريف المستمر بشبكة الإنترنت لجميع المؤسسات الاجتماعية في المجتمع خاصة منها الأسرة، وبالتالي الامتناع عن استخدام شبكة الإنترنت لأغراض مخالفة لمعايير المجتمع، أو القيام بأي نشاطات تخالف القيم الاجتماعية التي تشمل القيم الثقافية والسياسية والإعلامية والاقتصادية والدينية الإسلامية، والتي تعتبر في مجملها نسق وأسلوب للحياة الاجتماعية عامة والحياة الحضرية خاصة.

- فتح مجال لتكوين وتوعية اجتماعية على مستوى مؤسسات التنشئة الاجتماعية، خاصة منها المؤسسات الثقافية، للتعريف بأهمية

نسق القيم العربية الإسلامية وفق تصورات استشرافية تحدد ما يجب أن يكون والالتزام باحترامه كواجب أخلاقي.

- ضرورة توعية الوالدين والأبناء خاصة منهم الشباب بدورهم في التمسك بالمعايير الثقافية ونسق القيم التي تعتبر بناء اجتماعي يمثل رأس المال البشري والمحافظة عليه، والتعريف بأهم الثوابت الأساسية من خلال الاتصال الفعّال الذي يُبنى على أسلوب الحوار والمناقشة، وهذا بهدف اجتناب مخاطر الانحرافات الاجتماعية والفكرية التي توفرها خدمات الشبكة الإعلامية العالمية "الإنترنت".

- ضرورة توفير مواقع عربية سواء من طرف الأفراد أو الهيئات المعنية، التي تهتم بالمواضيع والأساليب العلمية والتربوية المتعددة والمتكاملة، والاهتمام بتوفير المواقع العربية الوطنية الإسلامية التي تُرسّخ روح الانتماء والهوية الوطنية العربية، وترتبط بتاريخ الوطن وتهتم بالشؤون الوطنية التي من شأنها أن تؤدي إلى غرس معالم الهوية الوطنية، والحفاظ على استقرار الحياة البشرية.

- توعية الأسرة وباقي المؤسسات الاجتماعية في الوسط الحضري بشأن معاملة الأبناء وتوجيههم وإرشادهم وفق قرارات سليمة وهادفة، ووفقاً للمعايير الاجتماعية التي تتناسب مع محيطهم الاجتماعي، واهتمامهم بالعلاقات الاجتماعية وتقويتها وترسيخها لدى أبنائهم وتشجيعهم على الاعتزاز باللغة والدين والوطن، وهذا من خلال رسم سياسات اجتماعية تضمن تحقيق استقرار وتوازن النسق القيمي الاجتماعي للمجتمع الحضري.

- اهتمام الدولة بالتعليم، والصحة والعلاج، والترفيه والتثقيف وكل متطلبات الحياة لتحقيق سلطتها وقيمتها الوطنية، وتخطيط المدن عمرانياً واجتماعياً وفق منظومة قيمية متكاملة ومتناسقة بين جميع أجزائها وعناصرها، وتشجيع البحوث ومعامل البحث العلمي وإعطاء مناطق خاصة لها بالمدينة.

- ضرورة اهتمام الصحف والإذاعة والتلفزيون بترسيخ ودعم الهوية والأصالة والموروث الاجتماعي المرتبط بتاريخنا بهدف ترقية وبناء وتحقيق التماسك الاجتماعي والوحدة الوطنية وغرس روح الانتماء وتحقيق الاستمرار والتوازن للمجتمع.

خاتمة:

في ظل هذا الزخم الذي عرفه عالم تكنولوجيا الإعلام والاتصال وخاصة في مجال مواقع الإنترنت (*sites Internet*)، من خلال التعدد والتنوع والتطور، وباعتبار الموقع (*site*): "مجال يتم تخصيصه على شبكة الإنترنت يحتوي على تنوع وتدفق قوي للمعلومات، يقدم خدمات عديدة تفاعلية للمستخدم، ونسق خاص أو نظام معين ترتب فيه المعلومات بشكل منسق متعدد أهداف" (ربحي مصطفى، ع. 2003، ص: 127)، يعتبر من وجهة نظر سوسيولوجية نسق بنيوي من حيث التصميم والهندسة، وشبكة اتصالية علائقية معقدة تشكل نسق اتصالي تكاملي جديد.

كما يحتل حقل الشبكة الإعلامية العالمية "الإنترنت" اليوم فضاء اتصال معاصر (*télécommunication*) من حيث التصميم والهندسة، كما يعتبر نموذج مرجعي للسوسيولوجيا بهدف تحليل عملية التفاعل الاجتماعي، وهو بحكم بنية التحديث التكنولوجي قد يشكل ممارسات سوسيوقيمية ثقافية، تؤثر على النسيج العلائقي للنسق الاجتماعي، مصحوبة بموجة مفاهيم مستحدثة، قد تتمثل وعلى نطاق واسع في التناقض للتصورات والصراع وزيادة الضغط والتوتر، وهيمنة وسيطرة الطرف الآخر وتحطيم الذات وتعميق الفراغ الاجتماعي.

إن غموض وتداخل وتعقد (*la complexité*) استخدامات مواقع شبكات الاتصال تمثل جديد للدينامية المجتمعية، يتطلب رؤية حتمية (*la conception déterministe*) قيمة لأنساق التنشئة، بهدف حصانة الرأس المال الاجتماعي (*le capital social*)، وتوظيف الوسائط الاتصالية الجديدة بمستوى قيمى داخل الحقل المجتمعي.

وفي هذا السياق فالاستخدامات الأكثر تواترا لتكنولوجيات الاتصال الحديثة خاصة منها "خدمة الإنترنت"، ذات طبيعة اجتماعية تثقيفية تعليمية، باعتبار أغلب المضامين والمحتويات عبر هذه الوسائط تفتقر لنقاط استدلال قيمية، وتبين بصفة دالة تداخل السياقات الجغرافية والثقافية والتاريخية، وهي بهذه السياقات تمثل ثقافة الآخر، مما قد ي طرح مفارقات ومشكلات أخلاقية وتموجات خطيرة على بنية المجتمع وبرز أشكال جديدة من الاجتماعية.

قائمة المراجع:

- 1 - أسماء حسين حافظ: 2005م، تكنولوجيا الاتصال التفاعلي في عصر الفضاء الإلكتروني والرقمي، دون ذكر البلد: الدار العربية.
- 2 - ربحي مصطفى عليان: 2003م، وسائل الاتصال وتكنولوجيا التعليم، عمان: دار صفاء للنشر والتوزيع.
- 3 - السيد بخيت: 2010م، الإنترنت كوسيلة اتصال جديدة، دولة الإمارات العربية المتحدة: دار الكتاب الجامعي.
- 4 - عبد المالك رمضان الدناني: 2003 م، الوظيفة الإعلامية لشبكة الإنترنت، بدون ذكر البلد، دار الفجر للنشر والتوزيع.
- 5 - علي خليل شقرة: 2014م، الإعلام الجديد شبكات التواصل الاجتماعي، الأردن: دار أسامة.
- 6 - عمر بشير العياجي: 2007م، الإدمان والإنترنت، عمان: دار مجدلاوي.
- 7 - ماجد الزيود: الشباب والقيم في عالم متغير، دار الشروق، عمان، 2006م، ص.33.
- 8 - محسن أحمد الخضيرى: 2001م، العولمة الاجتياحية، مصر: مجموعة النيل العربية.
- 9 - محمد عبد الحميد: 2000م، البحث العلمي في الدراسات الإعلامية، مصر: عالم الكتب.

- 10 - محمد عبد الرحمان الشرنوبى: 1976م، الإنسان والبيئة، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.
- 11 - محمد لعقاب: 2007م، وسائل الإعلام والاتصال الرقمية، بدون ذكر البلد: بدون ذكر دار النشر.
- 12 - محمد منير حجاب: 2004م، المعجم الإعلامي، القاهرة: الفجر للنشر والتوزيع.
- 13 - نبيل محمد توفيق السمالوطي، د. ت. البناء الحضري لعلم الاجتماع، الجزء الأول، مصر: دار الكتب الجامعية.
- 14- Alexander. J.C. ed. Durkheimian Sociology. Cultural Studies.1988.p.16.
- 15- C. Dubar: la socialisation construction des identités sociales et professionnelles, éd Armand Colin, Massar, Paris, 1996.
- 16- Custave, Fischer: les domaines de la psychologie social, dunod, Paris, 2000.
- 17- Olivier Andrieu: Internet , guide de Connexion , France , eyrolles, 1996
- 18- Pierre Bourdieu: Le Sence Pratique, Minuit, Paris, 1980.
- 19- Schiler. H. Information Inequality. The Deepening Social Crisis in America.1996.

.....